تحولات المرجع وترميم الغياب
في رواية "فتنة العروش" لزوينة الكلباني:
دراسة في حيل السرد

Transformations of Reference and Restoration of Absence in Zoina Al-Kalbani's Novel the Temptation of Thrones: A Study in Narrative Techniques

د. هاجر حراثي

جامعة صحار

سلطنة عمان

hharrathi@su.edu.om

تحوّلات المرجع وترميم الغياب
في رواية "فتنة العروش" لزوينة الكلباني:
دراسة في حيل السرد

د. هاجر حراثي

ملخّص:

تندرج هذه الدراسة ضمن السرديّات الحديثة المهتمة بجماليات التخييل التاريخي، وتتخذ من رواية "فتنة العروش" (2021) للكاتبة العمانية زوينة الكلباني نموذجًا للكشف عن الكيفية التي يتحوّل بها المرجع التاريخي من مادة مأزومة أو مطموسة إلى أفق تخييلي منتج للمعنى. وتنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادُها أن الرواية تبني عالمها السردي على شخصية تاريخية إشكالية هي الملك الشاعر سليمان بن سليمان النبهاني (ت. 906هـ)، الذي تعرضت أخبارُه في المدونات الرسمية للإهمال والشطب بسبب الصراعات السياسية، مما جعل الذاكرة المرتبطة به قائمة على فجوات وبياضات واسعة.

وتفترض الدراسة أن السرد في هذه الرواية يتجاوز كونه تقنية بنائية شكلية ليمثل استراتيجية معرفية تستهدف مقاومة المحو وترميم الغياب، عبر جملة من حيل السرد، في مقدمتها المخطوط المتخيَّل، والحكاية الإطارية، وتعدد الأصوات، وتراسل الفنون وتفاعلها، بما يتيح بناء تاريخ ممكن يسد فراغ الوثيقة ويستعيد البعد الإنساني للشخصية.

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستأنسة بنظرية العوالم الممكنة، ومقاربات التخييل التاريخي، والتفاعل الأجناسي. وتخلص إلى أن الكلباني نجحت، من خلال هذه الحيل السردية، في أنسنة التاريخ وتحويل النقص المرجعي إلى طاقة تخييلية أسهمت في كسر خطية السرد، وصهر الشعر والسيرة والوثيقة في بناء روائي تجريبي ذي أبعاد متعددة لعل أهمها الجمالي والمعرفي.

الكلمات المفاتيح: التخييل التاريخي، المرجع التاريخي، ترميم الغياب، رواية المخطوط، فتنة العروش، زوينة الكلباني.

ABSTRACT:

This study falls within the field of modern narratology concerned with the aesthetics of historical fiction. It examines Zoina Al-Kalbani's novel Fitnat al-Urush (2021) to explore how historical reference is transformed from a problematic or obscured source into an imaginative horizon productive of meaning. The study addresses a central problem: the novel constructs its narrative world around a controversial historical figure, the poet-king Sulayman bin Sulayman al-Nabhani (d. 906 AH), whose records in official chronicles were marginalized or erased due to political conflicts, leaving his memory fragmented by gaps and silences.

The study posits that narration in this novel transcends formal structure to become an epistemic strategy aimed at resisting erasure and restoring absence through various narrative devices—most notably the "imagined manuscript," the frame narrative, polyphony, and intergeneric interaction with poetry. Through these mechanisms, the novel constructs a "possible history" that bridges the gaps in documentation and restores the character's human dimension. Adopting a descriptive-analytical approach, the study draws on possible worlds theory, historical fiction frameworks, and intertextuality. It concludes that Al-Kalbani successfully humanizes history, transforming referential deficiency into an imaginative energy that disrupts linear narration and fuses poetry, biography, and document into an experimental narrative structure with both aesthetic and cognitive depth.

Keywords: Historical Fiction, Historical Reference, Restoration of Absence, Narrative Devices, Manuscript Novel, Fitnat Al-'Urush.

1- مقدمة الدراسة وإشكاليتها:

لعلّ من أبرز ما يستوقف دارسي رواية ما بعد الحداثة اتساعُ أفقها البنائي، واستضافتها لعديد الأجناس والخطابات والأشكال الفنية التي لا تنفك تتراسل وتتفاعل في فضاءاتها الرحبة؛ مما جعل بعض النقاد يعدّونها "مختبرًا لفهم الحداثة، والأفراد، والوضعيات، والعالم كله، لأنها تتيح ابتكار أدوات جديدة للتحليل والتأويل" (Barrère & Martuccelli, 2009). ويرتبط هذا الاتساع بمرونة الجنس الروائي وقدرته على تجديد أدواته وتنويع تقنياته التي أضحت جزءًا عضويًا من إنتاج الدلالة، وليست مجرد وسائط شكلية للقصّ، وهو ما يؤكده باختين حين يرى أن الأجناس المدخلة في الرواية تندمج لتصبح أجزاء عضوية تسهم في إنتاج المعنى وتجسيد رؤية العالم (باختين، 1987، ص. 46).

وضمن هذا المسار الإبداعي، اتجهت الرواية العمانية الحديثة، ولا سيما النسائية منها، نحو ضروب متنوعة من التجريب الواعي والممنهج (حراثي، 2025، ص. 4)، متجاوزةً "الخروج العفوي عن المألوف" (أمنصور، 2006) إلى الاشتباك العميق مع أسئلة الهوية والتاريخ. وكانت "حيل السرد" من أبرز الوسائل التي مكّنتها من خرق الحدود بين الأجناس، وتحويل الخطاب الروائي إلى فضاء نشط تتراسل فيه الوثيقة مع التخييل (يقطين، 1992). وقد أسهم ذلك في ترسيخ حضور الرواية النسائية العمانية في المشهد السردي العربي، كما يتجلى في منجز عدد من الكاتبات العمانيات، من بينهن جوخة الحارثي وبشرى خلفان وزوينة الكلباني. ومن أبرز الحيل التي وظفتها هذه الرواية في هذا السياق تقنية "رواية المخطوط".

ولئن ذهب بعض النقاد إلى وصف حيلة المخطوط بـ"الشيخوخة" لكثرة طرقها واستنزافها (أحمد، 2020)، فإن استثمارها في رواية فتنة العروش (2021) لزوينة الكلباني منحها حيوية جديدة وطرافة بحثية تستحق الاستقراء؛ إذ تجلت هذه الطرافة في ابتكار "مخطوط متخيَّل" ينهض في موضع غياب "المخطوط التاريخي" الحقيقي.

ويرتبط هذا المخطوط المتخيَّل في الرواية بسيرة الملك الشاعر سليمان بن سليمان النبهاني (ت. 906هـ)، وهي سيرة لم تصل إلى الذاكرة الثقافية إلا عبر فجوات وبياضات واسعة، في ظل شحّ الأخبار وتفاوت تمثيلها في المدونات؛ مما جعل ديوانه الشعري من أبرز الآثار التي تتيح مساءلة هذا التاريخ. ومن هنا، تحولت حيلة المخطوط لدى الكلباني من مجرد تقنية إيهامية إلى استراتيجية معرفية لترميم الغياب التاريخي عبر فائض التخييل الروائي.

تبدأ خيوط الحكي في فتنة العروش من العثور على مخطوط يقتاد القارئ إلى عمق العصر النبهاني، مستدعيًا شخصيات عُرفت نواتها تاريخيًا، ثم أُعيد تشكيلها سرديًا لسد الفجوات والبياضات التي خلّفتها المصادر الشحيحة وتغافلت عنها المدونات المكتوبة (المطروشي، 2022). وهكذا ينهض المخطوط مقام الوثيقة الغائبة، ويتوسل بالتخييل لتوسيع ما ضاق به التدوين التاريخي. كما يتعزز هذا البناء بتوظيف الطروس، والحاشية، والوصية، وتعدد الأصوات، بما يجعل السرد أداة لإعادة صياغة أحداث همّشتها كتب التاريخ، ولمساءلة الصورة التي رسمتها بعض المدونات لشخصية جمعت بين المُلك والفروسية والأدب

والشعر (المعمري، 2022). وعلى الرغم من ما كُتب عن الرواية، فإن الاشتغال على حيل السرد فيها من زاوية تحولات المرجع وترميم الغياب ما يزال في حاجة إلى مزيد من الاستقراء والتحليل.

وتتحدد إشكالية هذه الدراسة في مساءلة الكيفية التي يتحول بها المرجع التاريخي في رواية فتنة العروش من مادة ناقصة أو ملتبسة إلى بناء تخييلي منتج للمعنى. ويتفرع عن هذا السؤال المركزي سؤالان رئيسان:

- كيف وظفت الكلباني المخطوط المتخيّل في بناء عالمها الحكائي؟
- إلى أي حد استطاع السرد، عبر التفاعل مع الشعر، ترميم صورة سليمان النبهاني وإعادة بناء حضوره الإنساني والرمزي؟

وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستأنسة بمفاهيم السرديات، ونظرية العوالم الممكنة، ومقاربات التخييل التاريخي، والتفاعل الأجناسي. وقد انتظمت في ثلاثة محاور: يتناول أولها الإطار النظري والمنهجي، ويرصد ثانيها تجليات تحولات المرجع من الوثيقة إلى التخييل، بينما يقف ثالثها عند وظائف حيل السرد في ترميم الغياب.

2- الإطار النظري والمنهجي للدراسة نحو مقاربة لسرديات "ترميم الغياب":

تنطلق هذه الدراسة من مفهوم إجرائيّ هو "ترميم الغياب" بوصفه آلية سردية يتجاوز بها النص حدود استعادة الماضي إلى إعادة تشكيله تخييليا. فالتاريخ المأزوم، حين يدخل الفضاء الروائي، لا يحضر بوصفه معطى مكتملًا أو وثيقة نهائية، بل يتحول إلى مادة قابلة للتأويل وإعادة البناء، بما يتيح استعادة الأصوات المحجوبة، وترميم الصورة الإنسانية للشخصيات التاريخية التي أُقصيت أو اختُزلت في المدونات المرجعية. وتجد هذه المقاربة سندها في تصورات بول ريكور حول علاقة السرد بالزمن، ودور الحكي في إعادة بناء التجربة الزمنية والذاكرة التاريخية(Ricoeur, 2005) ، كما تتقاطع مع أطروحات هايدن وايت التي أبرزت أن الخطاب التاريخي لا ينفصل عن آليات التمثيل والسرد والتخييل، وأن كتابة التاريخ تتشكل داخل أبنية خطابية وسردية مخصوصة.(White, 1973) .

2-1- المرتكز السردي: الحكاية الإطارية، تعدّد الأصوات، والعتبات النصيّة:

تستند هذه الدراسة في مقاربة البناء السردي لرواية فتنة العروش إلى مرتكزات سردية تتيح تتبّع تشكل الحكاية وتوزيع السلطة داخل النص. فمن جهة أولى، تفيد تصورات جيرار جينيت في فهم العلاقة بين المتن وما يحيط به من عناصر موازية أو داخلية تسهم في توجيه القراءة (Genette, 1987). وتكتسب هذه المقاربة أهمية خاصة في رواية تنهض على الحاشية، والطروس، والوصية، والحكاية الإطارية؛ إذ لا تظهر هذه العناصر بوصفها إضافات شكلية، بل بوصفها مكونات بنائية تسهم في تحويل المخطوط إلى مركز تداولي للحكاية، وتمنح التخييل هيئة الوثيقة داخل العالم الروائي. كما تُفيد رؤية جينيت في Fiction Et Diction في إبراز أن أدبية النص لا تقوم على مطابقته للواقع، بل على كيفية بناء خطابه، وهو ما يفسر انتقال المرجع التاريخي في الرواية من معطى جامد إلى كيان سردي حي (Genette, 1991). ومن جهة ثانية، تتيح مفاهيم ميخائيل باختين، ولا سيما الحوارية وتعدد الأصوات، فهم الكيفية التي ينفتح بها النص على شبكة من

الخطابات المتجاورة والمتعارضة (Bakhtine, 1978). فلا تحضر في فتنة العروش سلطة سردية أحادية، بل تتوزع الحكاية بين أصوات متباينة، من بينها مازن بوعيه المعاصر، وسليمان النبهاني بتمثيله التاريخي، ورئيس الكتبة بمرجعيته الوثائقية، والديوان الشعري بلغته الوجدانية. ومن خلال هذا التعدد لا يكتفي النص بعرض الوقائع، بل يعيد تركيبها عبر منظورات مختلفة، وهو ما يجعل البنية البوليفونية فيه ملائمة لتمثيل مرجع تاريخي متشظٍّ ومثقل بالفراغات. وتنسجم هذه المقاربة مع ما يتيحه منظور سعيد يقطين من أدوات لتحليل الزمن والسرد والتبئير، بما يسمح بقراءة الرواية من الداخل بوصفها بنية نصية منتجة للمعنى، لا مجرد وعاء لمادة تاريخية مستعادة (يقطين، 1997).

2-2- التخييل التاريخي بين المرجع وإعادة التشكيل:

لعلّ أبرز ما أفادنا به بول ريكور، في ما يتصل بإحدى أهم إشكاليات هذه الدراسة، أي التخييل التاريخي بين المرجع وإعادة التشكيل، يتمثل في ربطه بين الحكي وإعادة بناء الزمن؛ إذ لا يُستعاد الماضي إلا بعد أن يخضع لعمليات انتقاء وترتيب وإضفاء معنى (Ricoeur, 2005). وهو ما يتقاطع مع ما نبهت إليه مقاربات هايدن وايت من أن تمثيل التاريخ لا ينفصل عن الأشكال البلاغية والسردية التي تؤطره (White, 1973)، ومع إشارات ليندا هتشيون إلى أن التخييل التاريخي لا يكتفي بتذويب الحد الفاصل بين التاريخ والرواية، بل يجعل هذا الحد ذاته موضوعًا للمساءلة النقدية (Hutcheon, 1988).

وضمن هذا الإطار النظري، تتبدى فتنة العروش نصًا لا يتجه إلى استعادة الوقائع لذاتها، بقدر ما يتجه إلى مساءلة ما سكتت عنه المدونات وما اختزلته الروايات التاريخية، خاصة في ما يتعلق بالأبعاد الإنسانية والوجدانية لشخصية سليمان بن سليمان النبهاني. وبهذا المعنى، يصبح التخييل في الرواية إجراءً نقديًا يعيد ترتيب المرجع التاريخي، ويحوّل صمت الوثيقة إلى بوح سردي، من غير أن يدّعي استعادة حقيقة مكتملة أو نهائية.

2-3- العوالم الممكنة وبناء التاريخ الروائي:

تعدّ نظرية العوالم الممكنة (Possible Worlds Theory) من أنسب المداخل لقراءة الرواية التاريخية، لأنها تتيح النظر إلى النص الروائي بوصفه بناءً يتمتع باستقلاله الوجودي، ولا يخضع خضوعًا مباشرًا لسلطة المرجع التاريخي. فالرواية، بحسب هذا المنظور، لا تستنسخ العالم كما وقع، بل تشيد عالمًا ممكنًا ينطلق من معطيات واقعية، ثم يعيد ترتيبها وفق منطقه الداخلي وشروطه الجمالية (Doležel, 1998). وعلى هذا الأساس، يتبدى الحكي في فتنة العروش متجاوزًا منطق المحاكاة إلى منطق الابتكار؛ إذ لا تتحدد قيمته بمدى مطابقته للمرجع، بل بقدرته على بناء عالم سردي متماسك ومقنع، عالم "يمكن أن يوجد خياليًا أو ذهنيًا أو إبداعيًا، أو يتحقق فنيًا وجماليًا" (الحمداوي، 2016، ص. 10).

وفي ضوء هذا التصور، لا يظهر العالم السردي في الرواية نسخةً مطابقةً للعالم النبهاني التاريخي، بل عالمًا ممكنًا يستمد مادته من المرجع ويعيد ملء فراغاته وتأويل صمته. ومن ثمّ، لا يحضر سليمان بن سليمان النبهاني بوصفه مجرد اسم تاريخي، بل بوصفه ذاتًا روائيةً مشحونةً بكثافة وجدانية، يتداخل فيها

السياسي بالإنساني. كما ينهض الشعر بوظيفة مزدوجة، مرجعية وتخييلية، إذ يتحول إلى خزان دلالي تتولد منه الحكايات، وتتشكل عبره صورة ممكنة للشخصية والعصر، بما يعوض ما أغفلته المدونة التاريخية أو عجزت عن الإفصاح عنه.

2-4- حيلة المخطوط: من الإيهام بالوثيقة إلى استرداد الغياب:

تعد حيلة المخطوط من الصيغ السردية الراسخة في المتخيل الروائي، غير أن الرواية المعاصرة وسعت من إمكاناتها، فجاوزت بها مجرد التنويع الشكلي إلى جعلها أداة تجريبية واعية بمسالك التشكيل السردي (أمنصور، 2006؛ غضبان، 2017). وفي فتنة العروش لا يحضر المخطوط بوصفه وثيقة مكتملة يُعوَّل عليها لإثبات الحقيقة، بل بوصفه أثرًا متخيّلًا تتولد منه الحكاية، ويمنح النص سندًا مرجعيًا داخليًا يخفف من أحادية المنظور السردي.

ومن خلال هذا المخطوط المتخيّل تنفتح الرواية على سيرة الملك الشاعر سليمان بن سليمان النبهاني، وعلى الأحداث التي أحاطت بحكمه، لا من أجل استعادة التاريخ في صورته الجاهزة، بل من أجل إعادة تخيله وسد ما فيه من ثغرات. وهكذا تتجاوز "طروس النبهاني" كونها عنصرًا في الحبكة لتغدو أداة مركزية لاستنطاق المسكوت عنه، وربط الوثيقة المتخيلة بالشعر والحاشية والوصية في بناء ينهض على استرداد ما فُقد من الذاكرة السردية للعصر النبهاني.

2-5- ترميم الغياب بوصفه مفهومًا إجرائيًا:

يقصد بترميم الغياب، في هذه الدراسة، ذلك الإجراء السردي الذي يتدخل لإعادة تشكيل ما سقط من المرجع التاريخي، أو ما أُقصي منه، أو ما نقلته المدونات بصورة جزئية أو منحازة. ولا يحيل هذا الترميم إلى استعادة الحقيقة التاريخية بمعناها الوثائقي الصارم، بقدر ما يحيل إلى بناء صورة سردية ممكنة تستثمر الفجوات والبياضات بوصفها مجالًا لإنتاج المعنى، وتعيد وصل ما انقطع بين الشخصية وذاكرتها، وبين الحدث وتمثلاته الإنسانية. ومن هذا المنظور، لا يكون ترميم الغياب مجرد سدٍّ لنقصٍ مرجعي، بل ممارسة تأويلية ينتقل فيها السرد من نقل ما وقع إلى مساءلة ما غاب، ومن استعادة الأثر التاريخي إلى إعادة تشكيله داخل بناء روائي يمنح المهمش والمسكوت عنه قابلية الظهور والدلالة. ولذلك يغدو هذا المفهوم أداةً إجرائية مناسبة لقراءة فتنة العروش، بما هي رواية تنشغل لا بتكرار التاريخ، بل بإعادة بناء ما أهملته المدونات أو اختزلته. وقد ذهبت قراءات نقدية عديدة للرواية إلى اعتبارها نموذجًا لقدرة السرد على استنطاق المسكوت عنه وإضاءة الزوايا المعتمة في التاريخ العماني؛ بما يجعل هذا الترميم يتجاوز كونه فعلًا تقنيًا إلى كونه موقفًا معرفيًا يسعى إلى إنصاف الشخصية التاريخية عبر فائض التخييل. وفي هذا السياق، يتنزل رأي المعمري في أن الرواية تنهض بعبء استعادة الشخصية ضمن إطار تاريخي ملتبس، محاولةً إضاءة ما غاب من ملامحها الإنسانية (المعمري، 2022).

ويتصل هذا الترميم في فتنة العروش بمستويات متعددة من الغياب؛ من أهمها غياب الوثيقة الكافية، وغياب الصوت الذاتي للشخصية التاريخية، وغياب بعدها الوجداني في التمثيل التاريخي الموجز. ومن هنا

يغدو المخطوط المتخيّل، وما يحيط به من حواشٍ وطروس ووصايا، أداةً مركزيةً في ترميم هذه الغيابات، كما يغدو الشعر وسيطًا حاسمًا في استعادة الكثافة الإنسانية للشخصية، لا بوصفه شاهدًا خارجيًا فحسب، بل بوصفه مكوّنًا فاعلًا في بناء العالم الروائي.

2-6- المنهج المعتمد وأدوات التحليل:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره الأنسب لمقاربة الظواهر السردية داخل النص، ووصف آليات اشتغالها، ثم تأويل وظائفها في ضوء الإشكالية المطروحة. وهي لا تتجه إلى مضاهاة الرواية بالمصادر التاريخية مضاهاة تقريرية، أو اختبار درجة مطابقتها للوقائع، بقدر ما تنصرف إلى مساءلة الطريقة التي يشتغل بها المرجع داخل المتن الروائي، وكيف يتحول من مادة ناقصة أو ملتبسة إلى بناء تخييلي منتج للمعنى. وتستفيد الدراسة في هذا التحليل من السرديات الحديثة لتتبع الحكاية الإطارية، ومستويات السرد، وتعدد الأصوات، والعتبات النصية، كما تستفيد من أطروحات التخييل التاريخي في فهم علاقة النص بالماضي، ومن نظرية العوالم الممكنة في تفسير كيفية بناء الرواية لعالم تاريخي ممكن، ومن مقاربات رواية المخطوط والتفاعل الأجناسي في الكشف عن حضور الشعر والوصية والحاشية والوثيقة بوصفها عناصر بنائية ودلالية تسهم في ملء بياضات المرجع. وعلى هذا الأساس، يتجه التحليل في المحاور التالية إلى تتبع تحولات المرجع التاريخي في فتنة العروش من النقص إلى التخييل، تمهيدًا للنظر في الكيفية التي اشتغل بها المخطوط المتخيّل وحيل السرد في إنتاج شعرية النص وترميم الغياب.

3- المرجع التاريخي في فتنة العروش: من النقص إلى التخييل:

لا يقتصر تحول المرجع التاريخي في فتنة العروش على مجرد استحضار الماضي، بل يتجلى في الكيفية التي أعادت بها الرواية بناء ما بدا ناقصًا أو ملتبسًا في المدونة التاريخية المتصلة بالعصر النبهاني، ولا سيما ما يتعلق بالملك سليمان بن سليمان النبهاني. لذلك يقتضي هذا القسم النظر أولًا في ندرة المرجع واتساع بياضاته، ثم في دور الشعر بوصفه سندًا مرجعيًا مولّدًا للسرد، وصولًا إلى نماذج تطبيقية تكشف كيف اشتغل النص على إعادة تشكيل هذا الغياب داخل الرواية.

3-1- ندرة المرجع واتساع البياضات السردية:

لعلّه ينبغي الإقرار، منذ بدء النظر في تحولات المرجع التاريخي في فتنة العروش، بندرة المادة التي يسند إليها هذا العالم الروائي، واتساع البياضات التي تحيط بها؛ وهو ما يفسر لجوء الرواية إلى التخييل بوصفه سبيلًا لاستكمال ما سكت عنه المرجع أو عجز عن قوله، لا مجرد زينة شكلية أو فنية. ولا سيما أن العصر النبهاني الذي تحتفي الرواية بأبرز ملوكه ظل حاضرًا في الذاكرة العمانية حضورًا ملتبسًا؛ إذ يُنظر إليه، من جهة، بوصفه من أزهى عصور الأدب والشعر في تاريخ الأدب العماني، ويُنظر إليه، من جهة أخرى، بوصفه

عصرًا ارتبط في بعض التمثلات التاريخية بصور سلبية لحكامه (بنت خاطر، 1997، ص. 51). ولعل هذا التوتر في تمثل العصر نفسه يفسر جانبًا من اتساع البياضات المتصلة به وبأعلامه في المصادر المكتوبة.

وقد أشارت دراسات عمانية حديثة إلى ما أدى إليه اتصال التاريخ بالسلطة من تغييبٍ نسبي للعصر النبهاني؛ إذ "أسقط المؤرخون من حساباتهم واهتماماتهم عصرًا أدبيًا زاهيًا امتد في عمان ما يقارب خمسة قرون... وهو عصر النباهنة" (خاطر، 1996، ص. 51). كما يؤكد حسن المطروشي أن هذه الحقبة من أكثر فترات التاريخ العماني التباسًا وغموضًا، نظرًا لندرة ما كُتب عنها، وأن شح المصادر وتغافل التاريخ المكتوب لم يمنعا الشعر من أن يبقى شاهدًا على مستواها الحضاري والثقافي (المطروشي، 2022). ومن هذه الفجوات تكتسب فتنة العروش خصوصيتها؛ فهي لا تتعامل مع التاريخ النبهاني باعتباره سجلًا جاهزًا للأحداث، وإنما بوصفه مجالًا للالتباس والاحتمال. وقد نبه خالد المعمري إلى أن الرواية تأخذ القارئ إلى "المسكوت عنه تاريخيًا" في عصر النباهنة، وتعيد صياغة أحداث تجاهلتها كتب التاريخ، معتمدة في ذلك على حيلة المخطوط بوصفها مدخلًا إلى استعادة ما غاب من سيرة سليمان بن سليمان النبهاني (المعمري، 2022).

ويتأكد هذا المعنى إذا نظرنا إلى طبيعة حضور سليمان النبهاني في الذاكرة الثقافية؛ فالشخصية لا تصل إلى الرواية في صورة مكتملة، وإنما عبر شذرات متباينة، في حين يظل الشعر هو "الوثيقة الوجدانية" القادرة على حفظ بعض معالمها الرمزية. ولذلك لا تنشأ البياضات في الرواية من نقص المعلومات فحسب، بل من تفاوت تمثيل الشخصية بين التاريخ المكتوب والأثر الشعري، وهو ما يفسّر انتقال الرواية من المرجع الناقص إلى التخييل بوصفه أداة لإعادة بناء ما تعذر استعادته يقينًا (المطروشي، 2022؛ المعمري، 2022).

وعلى هذا الأساس، يتحول اتساع البياضات في فتنة العروش من عائق إلى شرط مولِّد للتخييل؛ إذ كلما تراجع الامتلاء الوثائقي اتسعت أمام الرواية إمكانات إعادة التشكيل. ومن أبرز هذه الإمكانات اللجوء إلى المخطوط المتخيَّل، والطروس، والحواشي، وتعدد المواقع الصوتية، بما يتيح تفكيك أحادية المرجع وإعادة تنظيمه عبر منظورات متباينة. فالنص لا يصدر عن مركز حكائي واحد، بل ينهض على شبكة من الذوات التلفظية تتجاور فيها أصوات الحاضر والماضي، وصوت الملك وحفيده، وأعدائه وأنصاره، ورئيس الكتبة، ومازن ونور. ومن هنا يغدو التخييل نفسه ممارسة لإعادة بناء المرجع، لا انفصالًا عنه.

3-2- من الشعر إلى السرد: الديوان بوصفه سندًا مرجعيًا:

إذا كانت فتنة العروش قد انفتحت على مرجع تاريخي يعتريه النقص، فإنها وجدت في ديوان سليمان بن سليمان النبهاني شاهدًا مرجعيًا قادرًا على إسناد الحكاية وتوسيع ما ضاق به الخبر التاريخي. ومن هنا يحضر الديوان في الرواية بوصفه "ديوانًا سرديًا" يضيء الأبعاد الوجدانية التي عجز التدوين التاريخي عن رصدها، من غير أن يظل محصورًا في وظيفة الاستشهاد الملحق. ففي ظل ضياع معظم آثار ذلك العصر أو طمسها، ظل الشعر هو "الناجي الوحيد" الذي حفظ بعض ملامح تلك المرحلة ومستواها الحضاري (المطروشي، 2022).

ولذلك أصبح الشعر في الرواية مضاعف الوظيفة؛ فهو، من جهة، أثر تاريخي يثبت وجود الشخصية، وهو، من جهة ثانية، نواة حكائية قابلة للانشطار والتوالد. ولهذه الأسباب لم تكتف الرواية باستحضار الأبيات كقرائن توثيقية، بل حولتها إلى مكوّن فاعل للنفاذ إلى البرزخ الفاصل بين الشاعر والملك. وقد نبه حسن المطروشي (2022) إلى أن الكلباني قدمت انحيازًا واضحًا للسرد الشعري، مغلِّبة الحقيقة الوجدانية الكامنة في القصيدة على ما اختزلته الوثيقة السياسية.

ويؤكد هذا المنحى أن النص لا يقف عند حدود سيرة النبهاني، بل يعمد إلى أنسنته عبر تراسل الأجناس؛ حيث يتداخل المخطوط مع الديوان، والتاريخي مع المتخيل، في نسيج روائي تجريبي. وبذلك لا يعود الانتقال من الشعر إلى السرد انتقالًا بين جنسين أدبيين فحسب، بل انتقالًا من الشاهد إلى البنية. فالأبيات التي تتناول الرثاء أو الألم لا تُستدعى لإثبات شاعرية النبهاني، وإنما لتشكيل مسوغات الفعل السردي وتعميق التوتر الدرامي، رادمةً المسافة بين الاسم في الخبر والكائن في النص. ويتجلى هذا الانتقال بوضوح عند تحويل الموقف السردي الرافض للصراع بين الملك سليمان وأخيه (الكلباني، 2021، ص. 49) إلى نبرة استعطاف ورجاء شعري، كما في قوله :

وإني وإن سلمتم أو نصرتم *** لخل وفي بالمودة دائم

أراكم بعين الود غيباً ومشهداً *** وأسمو بكم والله بالغيب عالم

فمالكم تخذلونني عند كل عظيمة *** وكفى بكم بالمروءة لازم

وعلى هذا الأساس، يغدو الديوان سندًا مرجعيًا مولِّدًا للسرد؛ فهو لا يملأ الفراغات بالمعلومات، بل بالكثافة الوجدانية والرمزية، محولًا الشعر من نص ثابت إلى محرك درامي يصهر السيرة والوثيقة في عالم ممكن. ومن هنا يمكن الانتقال من النظر إلى الشعر بوصفه شاهدًا إلى رصد نماذج تطبيقية تكشف كيف أعادت الرواية بناء المرجع في وقائع وعلاقات ملتبسة بعينها.

3-3- نماذج من ترميم الغياب المرجعي في الرواية:

يتجلى ترميم الغياب المرجعي في فتنة العروش من خلال إعادة قراءة الوقائع المتناثرة والملتبسة، وتحويلها من أخبار مقتضبة أو أحكام جاهزة في المدونات التاريخية إلى مواقف إنسانية مركبة، تعيد بناء ما سكت عنه التاريخ أو اختزله. لذلك لا تكتفي الرواية باستحضار الوقائع، بل تتدخل في تأويلها وزحزحة أسبابها، بما يمنح الشخصية التاريخية عمقاً نفسياً يتجاوز 'الصورة النمطية' التي رسمتها بعض المدونات عن سليمان بن سليمان النبهاني.

أ- حادثة "امرأة الفلج": من الاتهام التاريخي إلى التأويل السردي:

تمثل حادثة "امرأة الفلج" واحدة من أكثر النقاط التباسًا في السيرة التاريخية لسليمان بن سليمان النبهاني؛ إذ اقترنت في بعض الأخبار بصورة الحاكم القاسي المستبد والمطعون في أخلاقه. ومن اللافت أن الرواية لا تتجه إلى محو هذه الحادثة أو إنكارها، بقدر ما تحرص على إعادة بنائها من داخل منطق سردي يفتحها على سياق مختلف، ويقترح لها تفسيرًا مغايرًا. وهنا تتجلى وظيفة ترميم الغياب؛ إذ لا يقتصر السرد

على نقل ما ورد في الأخبار، بل يسعى إلى استنطاق ما أغفلته من دوافع وصراعات خفية، وما اتصل بها من دسائس ومكائد قد تكون وراء عمليات الحذف أو الاختزال التاريخي.وتتحقق هذه العملية عبر توظيف "رئيس الكتبة" بوصفه وسيطًا كاشفًا لما لم يُقل في المرجع؛ حيث تقدم الرواية وصفًا تراجيديًا لخاتمة المكيدة التي أوقع فيها الملك، وجعلته يقول في لحظة انكسار: 'ها أنا ذا مكوم على نفسي، مكمم الفم، كامل جسدي ملفوف بالحبال، ليتني مت قبل أن أعيش لحظة الهوان هذه' (الكلباني، 2021، ص 292). وبالتوازي مع هذا الهوان الجسدي، تبرز قيمة الأثر المكتوب الذي يحمله رئيس الكتبة عامر معه خوفًا من الضياع: "طوى سرج جفلة، حمله معه خوفاً على متعلقات الملك من الضياع، كان في داخله كتاب ودواة ومحبرة" (الكلباني، 2021، ص 292). ومن خلال هذا التقابل بين الجسد المقيد والمخطوط الناجي تنتقل الحادثة من مستوى الإدانة الجاهزة إلى مستوى التراجيديا السياسية، وتُربط بصراع القوى المحيط بالملك، والمؤامرات التي تداخلت فيها المصالح والأهواء بين الوزير المنهال ومحمد بن إسماعيل. وعلى هذا النحو تتحول "موذية" من عنصر عابر في خبر إلى شخصية تتقاطع عندها الرغبة والسلطة والخيانة، ويغدو الحدث مجالًا لإعادة تأويل صورة النبهاني، لا من خلال نفي الواقعة، بل عبر زحزحة معناها التاريخي الثابت. وهنا تبرز وظيفة التخييل: فهو لا يشتغل على إلغاء المرجع، وإنما على مساءلته وإعادة ترتيب عناصره. والرواية لا تمنح بطلها براءة جاهزة، بقدر ما تبني صورة أكثر تركيبًا للشخصية، تسمح بقراءة الفعل من داخل شبكة الخيانة والسلطة والهوى، لا من داخل حكم تاريخي أحادي.

ب- العلاقة مع الأخ حسام: استنطاق المسكوت عنه في الرثاء:

تمثل العلاقة بين سليمان النبهاني وأخيه حسام (أبي ناصر) موضعًا جوهريًا للغياب المرجعي؛ فالتاريخ يكتفي بتسجيل الصراع العسكري، لكن الرواية تستنطق الوجع الأخوي الكامن خلف نصل السيف. وهنا تتجلى فاعلية تراسل الأجناس؛ حيث يتحول الشعر من رثاء إلى أداة لكشف ما لا يقوله الخبر التاريخي. ويتجلى هذا الترميم الوجداني حين تصف الرواية اللحظات السابقة للمواجهة، حيث يظهر الملك سليمان محاولًا درء الفاجعة قبل وقوعها: 'أعاتب أخي والألم يعتصر قلبي محذراً إياه من فداحة الحرب.. حسام أيها العزيز ألم يئن لهذا العناد وهذه الكبرياء أن يتلاشيا وينهارا؟' (الكلباني، 2021، ص 53).ثم تبلغ التراجيديا السردية ذروتها في مشهد مقتل الأخ، محولة الفعل السياسي الصرف إلى مأساة إنسانية تقطر دمًا وندمًا: 'نزلت عند رجلي أخي، رفعت رأسه طالباً منه الصفح والعفو ولكنه لا يستجيب.. لفظ حسام أنفاسه في صدري، يداي تتلمسان الجرح، قطرات الدم الساخنة تسيل من بين أصابعي تخضب لحيتي، انفجرت أبكي وجثة أخي بين ذراعي' (الكلباني، 2021، ص 53). وفي هذه اللحظة الفارقة، يخرج الشعر من عباءة الديوان ليدخل في نسيج الموقف، حيث يستدعي السارد أبيات النبهاني كزفرة أخيرة:

لا كان يومُك يا ابن أمِّ فإنهُ *** يومٌ أمرُّ من الحِمامِ وأفجعُ

لهفي عليك أمُّ برةٍ فقدتْ *** جنيناً فهي ثكلى تُنزعُ

قطعتُ يدي عمداً بيدي وتوهُّمي *** من قبلُ أن يداً يداً لا تُقطعُ

وهكذا يملأ السرد الفراغ القائم بين الفعل السياسي القاسي وبين الوجدان المنكسر الذي تكشف عنه القصيدة. إن الرواية هنا تعيد وصل ما انقطع بين الأخوة والتاريخ؛ فالشعر لا يبقى نصًا ملحقًا، بل يتحول إلى مادة درامية تفسر هشاشة السلطة أمام صدمة الفقد. وبذلك يتحول الغياب المرجعي من مجرد نقص في المعلومة التاريخية إلى مجال حي لإنتاج معنى إنساني يكشف الشخصية من داخل انكسارها، لا من داخل انتصارها العسكري فقط.

ت- بين الخبروالقصيدة: آلية التحويل المرجعي:

تكشف النماذج السابقة، من حادثة امرأة الفلج إلى العلاقة مع الأخ حسام، عن آلية مركزية في بنية فتنة العروش، قوامها الانتقال المتدرج من الخبر بوصفه صيغة تاريخية مقتضبة، إلى القصيدة بوصفها حافظة للأثر الوجداني، وصولًا إلى السرد بوصفه الأفق الذي يعيد تركيب العلاقة بينهما. وبهذا المعنى، لا تشتغل الرواية على المرجع التاريخي كجسم غريب عنها، بل تستنبط طاقتها من داخل ما يتيحه هذا المرجع نفسه من شواهد ناقصة، محولةً ثقوب التاريخ إلى مساحات للحكي. أولهما بعد حدثي، يستعيد تفاصيل الوقائع التي اختزلها الخبر التاريخي، كما يظهر في إعادة بناء حادثة امرأة الفلج داخل شبكة من القوى والمؤامرات. وثانيهما بعد إنساني، يسترد الكائن المغيب داخل الحدث، كما يتجلى في استنطاق ندم الملك في رثائه لأخيه. وانطلاقًا من هذين البعدين، تبرهن فتنة العروش أن النقص المرجعي لم يكن عائقًا يحد من انسياب الحكاية، بل كان شرطًا جماليًا فتح السرد على إمكاناته التأويلية، بحيث كلما اتسع بياض التاريخ ازدادت حيوية التخييل في بناء عالم روائي ممكن، يصهر حياد الوثيقة في حرارة التجربة الإنسانية.

ويتأكد هذا المنحى أيضًا فيما تتيحه الرواية من مونولوغات داخلية ترمم بعض أشكال التغييب في سيرة سليمان النهاني، ولا سيما ما يتصل بالصراع الأسري من أجل السلطة، كما في قوله: ه يا ناصر.. يا ابن أخي.. آه منك يا بعض دمي مات أبوك واستراح وأنا كنت القاتل والمقتول ... ناصر يرى أنني ممتلئ بالشر لم أقم للقربى وزنا. فهذا المقطع يكشف ما ينهض به التخييل بوصفه إجراءً نقديًا يسد الفجوات ويعيد ترتيب المرجع التاريخي على نحو يبرز البعد الوجداني والإنساني للشخصية، محولًا صمت الوثيقة إلى بوح السرد.

4- المخطوط المتخيَّل وحيل بناء السرد:

إذا كان المرجع التاريخي في فتنة العروش قد وصل إلى الرواية مثقلًا بالنقص والالتباس، فإن البناء السردي هو المجال الذي أعادت من خلاله الكاتبة تنظيم هذا المرجع ومنحته صورة قابلة للحكي. ومن هنا لا تظهر حيلة المخطوط في النص باعتبارها وسيلة تمهيدية فقط، بل بوصفها جهازًا بنائيًا تتولد منه الحكاية، وتنتظم حوله مستويات السرد، وتتحدد من خلاله العلاقة بين الوثيقة والتخييل. فالرواية تقوم على انبثاق خيوط الحكي من العثور على مخطوط، غير أن هذا المخطوط لا يعمل منفصلًا عن الحاشية والطروس والوصية، بل يندرج ضمن نسيج روائي أوسع يقوم على تراكب الطبقات النصية وتداخل الأصوات.

4-1- الحكاية الإطارية بوصفها عتبة للولوج إلى الماضي:

ينهض السرد في فتنة العروش على حكاية إطارية تفتح باب الدخول إلى العالم التاريخي، وتمنح الحكاية الأصلية مشروعية تداولها. وتتمثل هذه الحكاية في شخصية مازن الذي يتلقى، عبر زوجته الراحلة، إشارة إلى وجود مخطوط "سيغير كثيرًا من الحقائق"، فتغدو عملية العثور على طروس النبهاني نقطة التحول التي ينتقل عندها النص من مستوى حكائي معاصر إلى مستوى آخر أعمق اتصالًا بالتاريخ. وتؤدي هذه الحكاية وظيفة مضاعفة؛ فهي تؤسس للإيهام المرجعي، وتهيئ القارئ للدخول إلى ماضٍ لا يُقدَّم بوصفه زمنًا منتهيًا، بل بوصفه مادة حية يعاد اكتشافها. وتكشف هذه الحكاية الإطارية عن بناء سردي يتجاوز فكرة العثور العفوي على المخطوط؛ إذ لا يصل النص التاريخي إلى القارئ إلا عبر سلسلة من الوسائط المؤسساتية والذاتية: تبدأ من "بعثة تنقيب أثرية معنية بدراسة النقوش" (الكلباني، 2021، ص. 15)، وتمرّ بالباحثة نور المنهمكة في "تحقيق الكتابات التاريخية" (ص. 12)، وصولًا إلى زوجها مازن الذي يمارس فعل القراءة بوصفه فعلًا للحداد ومقاومة الفقد. فبعد رحيلها يدخل مازن مكتبتها حيث كانت "تبحث في تلال من المخطوطات والوثائق لفك طلاسم المخطوط" (ص. 14)، ويصف لحظة اتصاله الأولى بالماضي قائلًا: "أعددت فنجانًا من القهوة، حملت المخطوط بعناية كمن يحمل تحفة نفيسة.. فتحت الطروس بحذر وبدأت أقرأ مبددًا وجع الفقد" (ص. 15). وبذلك لا يصبح المخطوط مجرد وعاء للحكاية، بل موضوعًا للتحقيق والترميم معًا، تتقاطع فيه المعرفة بالفقد، والبحث التاريخي بالتذكر الشخصي.

وفي هذا المستوى تبلغ الحكاية الإطارية ذروة وظيفتها المعرفية والوجدانية؛ إذ يدخل المخطوط إلى السرد أثرَ غيابين متجاورين: غياب الملك الذي تسعى طروسه إلى استرداد صوته المطموس، وغياب الباحثة التي أفنت جهدها في بعث هذا الصوت ثم رحلت قبل إتمام مشروعها. وهكذا لا يفتح المخطوط باب الماضي فحسب، بل يؤسس لاقتران تراجيدي بين غياب الحقيقة التاريخية وغياب الذات المحققة، مما يمنح طروس النبهاني كثافة وجدانية تجعل من فعل القراءة لدى مازن فعلًا لاسترداد مزدوج؛ فهو يرمم سيرة الملك، ويرمم في الوقت ذاته ذكرى زوجته الراحلة، محاولًا الانتصار على الموت والتاريخ معًا.

4-2- هندسة التوالد النصي وتعدد مستويات السرد:

لا يشتغل المخطوط في الرواية باعتباره كتلةً نصية صمّاء، إذ يكتشف القارئ، كلما توغل في عوالمها، أنه أمام ضرب من التوالد النصي المتشعب، تتداخل فيه الحواشي والطروس والوصايا لتشكّل نسيجًا سرديًا يرفض الخطية والتتابع الرتيب، ويكسب النص طبيعةً تجريبية. فالحاشية لا تؤدي وظيفة الشرح الخارجي فحسب، بل تمنح المتن بعدًا توثيقيًا وتوجيهيًا، بينما تكتسب الطروس، بما تحمله من إيحاء المحو وإعادة الكتابة، وظيفة رمزية تحيل إلى تاريخ لم يصل كاملًا، وإلى ذاكرة عُمانية أصابها الطمس ثم أُعيد بناؤها سرديًا.

وتتجسد هذه الهندسة السردية في الانتقال المدروس من الحكاية الإطارية إلى المتن التاريخي؛ إذ لا يلج القارئ إلى طروس الملك الشاعر مباشرة، بل يمر عبر عتبة الحاشية التي كتبها الحفيد سلطان بن محسن، واصفًا إياها بأنها قصة "نضال شاعر ملك" (الكلباني، 2021، ص. 19). وبموجب هذا التوالد الطبقي، تنبثق

الطروس المتتابعة لتستغرق متن الرواية، قبل أن ينغلق القوس السردي بعودة مازن إلى التعليق، ليرتسم بعد ذلك مسار جديد ينفتح على طروس رئيس الكتبة الباحث في سر موت الملك، وصولًا إلى الوصية الموجهة إلى الحفيد (ص. 336). وعلى هذا النحو تتحرك الرواية في بنية دائرية تبدأ بالحاشية وتنتهي بالوصية، فتحوّل الكتابة إلى فعل من أفعال التوريث والاسترداد، وتتضافر هذه العناصر في تأخير المعنى وتراكمه، واضعةً القارئ أمام نص مركب يزاوج بين أرشفة التاريخ وشعرية التخييل.

ولا تقف أهمية هذا التوالد النصي عند حدود التنظيم الشكلي، بل تتصل أيضًا بتعدد مستويات السرد وتوزيع السلطة الحكائية. فالحكاية لا تُروى من موقع واحد، وإنما تتوزع بين وسائط سردية متعددة: الحكاية الإطارية، وصوت المخطوط، وصوت رئيس الكتبة، وهو ما يفقد السرد طابعه التقريري، ويحوله إلى شبكة من الرؤى المتقاطعة المنسجمة مع طبيعة المرجع التاريخي المتشظي. فحين يكون التاريخ نفسه موضع التباس، يغدو تعدد الأصوات الوسيلة البنائية الأنسب لتمثيل هذا التشظي؛ إذ يمنح الشخصية التاريخية مجالًا أوسع للحضور، فلا تُختزل في صورة يرسخها خبر واحد، بل تتشكل تدريجيًا عبر ما تقوله الأصوات المختلفة وما تسكت عنه. وبذلك تبدو البنية السردية في فتنة العروش ترجمةً فنية واعية لعدم اكتمال المرجع، لا مجرد إطار تقني لعرضه.

3-4- الإيهام بالوثيقة وبناء المصداقية الداخلية:

تنهض حيلة المخطوط في فتنة العروش بوظيفة جوهرية تتمثل في بناء "المصداقية الداخلية" للنص؛ أي إقناع القارئ، من داخل العالم الحكائي، بأن السرد يستند إلى أثر مادي سابق يمكن الاحتجاج به. ولا يتحقق هذا الإيهام بمجرد الادعاء، بل عبر ما يمكن تسميته بـ"شعرية المادة" ووصف حالتها الفيزيائية؛ حيث تُقدَّم الطروس بوصفها أثرًا عُثر عليه عبر "بعثة تنقيب أثرية" (الكلباني، 2021، ص. 15)، مع الإشارة الدقيقة إلى ما اعتراها من تلف وثقوب استدعت تدخلًا يدويًا من الباحثة نور لسد الفراغات وتجميع الأجزاء المتآكلة. وهكذا لا ينهض المخطوط بوصفه حاملًا للحكاية فحسب، بل بوصفه موضوعًا ماديًا يكتسب من هشاشته، ومن أثر الزمن عليه، قدرته على الإيهام بالوثيقة.

ولا تقف عتبات الرواية عند حدود التمهيد الشكلي، بل تفتح الأفق المعرفي للنص منذ الإهداء: "إلى الحقيقة المنغلقة في سجن الزمن" (ص. 7)، والعبارة المصاحبة: "أعمق موضوع في تاريخ الإنسان هو صراع الشك واليقين" (ص. 8). فهذه العتبات تؤطر النص بوصفه مشروعًا لمساءلة اليقين التاريخي الأحادي، والبحث في الحقيقة لا بوصفها معطًى ناجزًا، بل بوصفها أثرًا يحتاج إلى الاستنطاق والتخييل. ويتعزز هذا الإيهام بربط المخطوط بحقول دلالية متجاورة، مثل التحقيق التاريخي، والتنقيب الأثري، والتحقيق الجنائي، وهي حقول تشترك جميعًا في توجيه القراءة نحو فكرة الحقيقة المؤجلة. ومن هنا يغدو المخطوط المتخيَّل أقرب إلى ملف قضية تاريخية يُعاد فتحها سرديًا، لا من أجل الحسم النهائي، بل من أجل إعادة ترتيب الوقائع وإضاءة ما ظل ملتبسًا فيها.

وتؤكد عودة الحكاية الإطارية في الختام، مع خبر الموافقة على مناقشة الرسالة واستمرار مازن في مواجهة أثر الفقد، أن المخطوط لا يخص الماضي وحده، بل يمتد أثره إلى الحاضر أيضًا؛ فالحقيقة التي سعت نور

إلى تحريرها من "سجن الزمن" لا تنفصل عن تجربة شخصية مفعمة بالألم والتذكر. وبذلك يتحول مشروع التحقيق التاريخي من نشاط أكاديمي خالص إلى دراما نفسية معاصرة، تجعل من استعادة المخطوط فعلًا يتداخل فيه ترميم الذاكرة مع ترميم الذات.

5- ترميم الغياب: الوظائف الجمالية والمعرفية:

لعل السؤال الأهم، بعد تتبع حيلة المخطوط وآليات ترميم التاريخ في فتنة العروش، يتصل بالقيمة التي أضافها هذا التشكيل على المستويين الجمالي والمعرفي. فعملية الترميم لا تقف عند حدود ملء الفراغات، بل تتجاوز ذلك إلى أداء وظائف مزدوجة: جمالية تعيد تشكيل شعرية النص، ومعرفية تفتح أفقًا لمساءلة تمثيلات الماضي. وبذلك يغدو السرد أداة لإعادة ترتيب العلاقة بين الوثيقة والتخييل، وبين الخبر والوجدان.

5-1- الوظائف الجمالية: من الوثيقة إلى شعرية التهجين:

تتحقق الوظائف الجمالية لترميم الغياب في فتنة العروش عبر مستويات متضافرة تتجاوز الأطر التقليدية للسرد التاريخي، بدءًا بكسر خطية الزمن وتحرير الحكي من الوظيفة التوثيقية المباشرة. فبفضل حيلة المخطوط وما يتفرع عنها من طروس، وحواشٍ، ورسائل، ووصايا، وشعر، يتشكل النص في هيئة بنية طبقية تتعاقب فيها الأصوات والكتابات، وتتحرك ضمنها المادة السردية بين الكتابة والمحو، والاسترجاع والتعليق، والاستئناف والانقطاع. وتقوم هذه البنية على حاشية افتتاحية كتبها حفيد الملك، سلطان بن محسن بن سليمان، ثم خمسة عشر طرسًا نُسبت إلى الملك سليمان نفسه، قبل أن تُستأنف الكتابة بطُرسين يحررهما رئيس الكتبة عامر بن سلطان الأزدي النبهاني بعد وفاة الملك، على أن يُختتم هذا المسار بعودة مازن، زوج الراحلة نور، إلى الطروس قارئًا ومعلّقًا ومتأثرًا. ومن خلال هذا التشكيل المتدرج، لا يعود الماضي مادة جامدة تُروى من الخارج، بل يصبح بنية حية تُقرأ من منظور الحاضر، وتُستعاد بوصفها أثرًا يتطلب الترميم والتأويل.

وقد أفضت هذه الحركة المخصوصة للسرد إلى آثار جمالية بينة، لعل أبرزها ما يمكن تسميته بـ"شعرية التهجين". فالرواية لا تستدعي الشعر أو الرسالة أو الوصية أو الحاشية بوصفها ملحقات تزيينية، بل بوصفها متفاعلات نصية تنصهر جميعها، "أيًّا كان نوعها، في بناء النص وبنيته وإنتاجيته الدلالية" (يقطين، 2001، ص. 122)، داخل نسيج حكائي واحد يذيب الحدود بين الأجناس، ويزعزع الفاصل بين ما يبدو وثيقة تاريخية وما ينهض بوصفه تخييلاً ذاتيًا. وبهذا المعنى، لا تقوم البنية الجمالية في الرواية على تعاقب الأجناس فحسب، بل على تفاعلها العضوي داخل سيرورة الحكي، بحيث يغدو كل جنس منها وسيلة لإضاءة جانب من الغياب المرجعي أو النفاذ إلى منطقة معتمة في التجربة الإنسانية للشخصيات. ويتجلى هذا التهجين في أرقى صوره في العلاقة المتبادلة بين الشعر والسرد؛ إذ لا يحضر الشعر في الرواية بوصفه شاهدًا مرجعيًا جامدًا يُستأنس به لإثبات واقعة أو توثيق حدث، وإنما بوصفه عنصرًا مولّدًا للحكي ومحركًا دراميًا يكشف انفعالات الشخصية ويعيد بناء العالم التاريخي من داخل وجدانها. فالحكي كثيرًا ما ينبثق من الشعر، كما

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

التهجين وسيلة جمالية لاستنطاق المسكوت عنه، وتحويل صمت التاريخ إلى فيض سردي يزاوج بين جلال المرجع وحرارة المتخيل.

2-5- الوظائف المعرفية: نحو تاريخ موازٍ وممكن:

تنهض فتنة العروش بوظيفة معرفية نقدية قوامها مساءلة اليقين التاريخي، وفتح الحدث الماضي على احتمالات أخرى حجبتها بعض الروايات التاريخية أو اختزلتها المدونات. وفي هذا السياق، لفت خالد المعمري إلى أن الرواية ركزت على شخصية الملك سليمان النبهاني، ومنحته صفات الفروسية، والقوة الجسدية، والمهارة القتالية، وامتلاك ملكة الشعر والأدب، وحسن سياسة الرعية والخوف على مصالحهم، على نحو جعل الشخصيات الأخرى أقل بروزًا في ظل مركزية هذه الشخصية (المعمري، 2022). ويتجلى هذا البناء في ما يرويه سليمان نفسه عن عصره، حين يقول: "كان لهذه الأحلاف النتائج التي سعيتُ من أجلها على المدى القصير، إذ عمَّ الأمن والسلام واختفت الجرائم التي يمارسها قطاع الطرق من التعرض للقوافل التجارية أو اختطاف النساء والأطفال وبيعهم كالعبيد، وذلك بعد أن جندتُ مجموعة من الفرسان المدججين بالسلاح على مفترق الطرق لحماية القوافل التجارية، وأجزيتُ لهم رواتب. كنتُ أدور بنفسي على قبائل البدو والحضر، ألتقي زعماءهم لتكوين أحلاف جديدة، أعلم أن المصلحة تحكم توجهات القبائل، وأنني أملك من القوة ما يدفع أي قبيلة لشراء ودّي، وهذا ما أكده حلفائي بنو رواحة" (الكلباني، 2021، ص. 61). ومن خلال هذا المنظور لا تقدم الرواية الشخصية التاريخية في بعدها السلطوي وحده، بل تعيد تركيبها من داخل صورة ذاتية تسعى إلى تفسير أفعالها وتبرير اختياراتها. ومهما يكن مصدر هذا التمثيل، فإن الرواية لا تتعامل مع التاريخ بوصفه معطًى نهائيًا مغلقًا، بل بوصفه بناءً تمثيليًا قابلًا لإعادة النظر والتأويل. ويتجلى ذلك بوضوح في إعادة قراءة حادثة "امرأة الفلج" التي تنتقل، داخل النص، من مستوى الإدانة الجاهزة إلى مستوى التفسير السردي المركب، حيث تُربط بشبكة من المصالح والدسائس والمؤامرات، بما يزعزع بداهة الرواية التاريخية الواحدة، ويجعل القارئ أكثر وعيًا بأن ما استقر في الذاكرة لا يطابق دائمًا حقيقة الوقائع، بل قد يكون أثرًا لانتقاء أو إقصاء أو اختزال. وتتعمق هذه الوظيفة المعرفية من خلال أنسنة الكائن التاريخي؛ إذ تعيد الرواية بناء شخصية سليمان بن سليمان النبهاني من داخل أبعادها الوجدانية والحميمية، بما تنطوي عليه من حب وندم وفقد وانكسار، فتخرجها من اختزال التدوين التاريخي الذي يحصرها في موقع السلطة أو في صورة الحاكم المثير للجدل، لتغدو ذاتًا مركبة تتنازعها الأدوار والمشاعر والمصائر. وبهذا لا تستعيد الرواية الشخصية التاريخية من الخارج، بل تنفذ إليها من الداخل، كاشفةً عن هشاشتها الإنسانية، ومفسحةً المجال لقراءة أكثر تعقيدًا مما تتيحه الأخبار الموجزة والأحكام الجاهزة. ومن هذا المنطلق، تسهم الرواية في تنشيط الذاكرة الثقافية ومحاولة وصل ما انقطع من الذاكرة العُمانية الجمعية، محولةً السرد إلى نوع من الأرشيف التخييلي الذي لا يكتفي باستعادة الماضي، بل يعيد تنظيمه وتمثيله برؤية معاصرة. فالرواية، من خلال اشتغالها على المسكوت عنه والبياضات المرجعية، لا تنتج حكاية عن العصر النبهاني فحسب، بل تسهم في إعادة إثارته داخل الوعي الثقافي بوصفه جزءًا من تاريخ ما يزال قابلًا لإعادة القراءة من زوايا جديدة وبذلك تتجاوز فتنة العروش كونها بناء سردي يستثمر التاريخ لتصبح

مجلّة نقد وتنوير - العدد الثامن والعشرون - السنة السابعة ـــــــ

وبناءً على ذلك، تخلص الدراسة إلى أن القيمة المضافة لهذه الرواية لا تتمثل في اقتراح حقيقة بديلة بقدر ما تتجلى في مساءلة شروط إنتاج الحقيقة ذاتها، وفتح الماضي على إمكانات جديدة للقراءة والتأويل. ومن هنا يفتح النص أفقًا نقديًا يتجاوز حدوده الخاصة، ليطال إمكانات الرواية العُمانية المعاصرة في الاشتغال على الأرشيف واستنطاق الذاكرة، وإعادة صوغ العلاقة بين الهوية الوطنية والتخييل الروائي برؤية تجريبية رصينة.

المصادر والمراجع

المصادر:

1- الكلباني، زوينة. (2021). فتنة العروش. دار كلمات للنشر والتوزيع.

المراجع:

1- أحمد، زهير .(2020) .الرواية العربية وشيخوخة بعض حيلها السردية .تم النشر في 29 مايو 2020. https://bit.ly/42prNxt

2- أمنصور، محمد. (2006). استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع.

3- باختين، ميخائيل. (1986). شعرية دوستويفسكي (ترجمة جميل نصيف). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

4- باختين، ميخائيل. (1987). الخطاب الروائي (ترجمة محمد برادة). دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

5- حراثي، هاجر. (2025). جدلية التاريخي والمتخيل في روايتي الباغ ودلشاد لبشرى خلفان: دراسة في ملامح التجريب الروائي. Journal of Arts & Social Sciences (JASS)، 16(2).

6- الحمداوي، جميل. (2016). العوالم الممكنة بين النظرية والتطبيق...

7- خاطر، سعيدة. (1996). الشعر العماني في العصر النبهاني. مجلة نزوى، (5).

8- ريكور، بول. (2005). الزمان والسرد: الحبكة والتدبير السردي (ج. 1، ترجمة سعيد الغانمي). دار الكتاب الجديد المتحدة.

9- غضبان، نادية. (2017). توظيف المخطوط في سرديات ما بعد الحداثة. ضمن: الرواية العربية وتحولات ما بعد الحداثة. لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع.

10- المطروشي، حسن. (2022، 23 نوفمبر). سيرة الشاعر باعتبارها ملهمًا إبداعيًا: سليمان النبهاني أنموذجًا. عمان الثقافي / جريدة عمان.

11- المعمري، خالد. (2022، 7 مارس). صورة البطل في رواية فتنة العروش لزوينة الكلباني. جريدة عمان.

12- يقطين، سعيد. (1992). الرواية والتراث السردي. المركز الثقافي العربي.

13- يقطين، سعيد. (1997). تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير (ط3). المركز الثقافي العربي.

14- يقطين، سعيد. (2001). انفتاح النص الروائي. المركز الثقافي العربي.

15- Barrère, A., & Martuccelli, D. (2009). Le roman comme laboratoire. Villeneuve d'Ascq: Presses universitaires du Septentrion.

16- Bakhtine, M. (1978). Esthétique et théorie du roman (D. Olivier, Trad.). Paris: Gallimard.

17- Doležel, L. (1998). Heterocosmica: Fiction and Possible Worlds. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

18- Gallagher, C., & Greenblatt, S. (2000). Practicing New Historicism. Chicago: University of Chicago Press.

19- Genette, G. (1987). Seuils. Paris : Éditions du Seuil.

20- Genette, G. (1991). Fiction et diction. Paris: Éditions du Seuil.

21- Hutcheon, L. (1988). A Poetics of Postmodernism: History, Theory, Fiction. Routledge.

22- Montrose, L. A. (1989). Professing the Renaissance: The poetics and politics of culture. In H. A. Veeser (Ed.), The New Historicism (pp. 15–36). Routledge.

23- Veeser, H. A. (Ed.). (1989). The New Historicism. Routledge.

24- White, H. (1973). Metahistory: The Historical Imagination in Nineteenth-Century Europe. Johns Hopkins University Press.